

التركيب الاستفهامي (ما لكم) وتفرعاته في القرآن الكريم
(دراسة سياقية دلالية)

م. د. أحمد عيسى دهيم

Ahmedirqi1981@gmail.com

تربية بغداد الرصافة الأولى

الملخص

لقد بقي القرآن الكريم وسيبقى ميداناً واسعاً ورحباً لدراسات المتخصصين وبحوثهم في أسرار الحروف والألفاظ والتراكيب المختلفة، وفي المعاني والدلالات الكامنة في تلك الألفاظ والتراكيب، فنكت الإعجاز لا تنهاى، وكلام الله تعالى صالح لكل زمان ومكان، وأن الأجيال في كل عصورهم وأمصارهم يحتاجون إليه حتى يجدوا ضالته في كتاب الله الكريم . ولما كان النص القرآني الذي هو أفصح أساليب العربية على الإطلاق مادة هذه الدراسة وأن البحث فيه يفيض على الباحث كنوزاً ثمينة، ويكشف عن أسرار مكنونة، كان منهجنا الذي اعتمدناه في هذا البحث يقوم على ذكر الآية الكريمة، ثم تناول التراكيب، وبعد ذلك تحليل

الكلمات المفتاحية : الاستفهام ، الدلالة ، السياق

The Interrogative Structure (What is the Matter with You and Its Branches in the Holy Quran)

Asst. Pro. Ahmad 'Īsā Dahīm (Ph.D.)

Baghdad Education, Al-Rusafa First

Abstract

A Semantic Contextual Study Since the Qur'anic text, which is the most eloquent of Arabic, is the subject of this beautiful study, and researching it will provide the researcher with precious treasures and reveal hidden secrets, our method that we have dedicated in this research is based on mentioning the noble verse, fully addressing the structures, and then analyzing the passages in which this structure appears.

Keywords : interrogation, semantics, context

التوطئة

من المعلوم أنّ هذا التركيب يليه غالباً الفعل المضارع المنفي، وقد يتقدم هذا الفعل (أن) في مواضع، ويخلو الفعل منها في مواضع آخر، ممّا شكّل خلافاً بين اللغويين، فقد ذهب الأخفش إلى أنّها زائدة، يقول: "ف(أن) ها هنا زائدة كما زيدت بعد (فلما) و(لما) و(لَوْ) فهي تزداد في هذا المعنى كثيراً. ومعناه "ومالنا لا نُقاتِلُ" فأعمل "أن" وهي زائدة كما قال: "ما أتاني من أحدٍ" فأعمل (من) وهي زائدة (للأخفش، صفحة 20).

ولا يخفى أنّ الأخفش كان معيارياً في فهم المسألة، بإسقاطه حرفاً قد يستقيم الكلام بدونه، وتتاسى الدلالة المتمخضة من هذه الأداة .

وأما الفراء، فقد كان أكثر إنصافاً من الأخفش في رصد الظاهرة، فقد عالجهما على وفق متبنيين اثنين:

الأول: الاستعمال، يقول: "جاءت (أن) في موضع، وأسقطت من آخر؛ فقال في موضع آخر: (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسل يدعوكم) وقال في موضع آخر: "وما لنا ألا نتوكل على الله؟ فمن ألقى (أن) فالكلمة على جهة العربية التي لا علة فيها، والفعل في موضع نصب" (معاني القرآن للفراء: 163/1).

الثاني: وجه الدلالة التي يتمخض منه دخول (أن) وخلوها: يقول: "وأما إذا قال (أن) فإنه مما ذهب إلى المعنى الذي يحتمل دخول (أن)؛ ألا ترى أن قولك للرجل: مالك لا تصلى في الجماعة؟ بمعنى ما يمنعك أن تصلي، فأدخلت (أن) في (مالك) إذ وافق معناها معنى المنع. والدليل على ذلك قول الله عز وجل: **لَمَّا مَنَّكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ** وفي موضع آخر: **لَمَّا لَمْ يَكُنْ مَعِ السَّاجِدِينَ** وقصة إبليس واحدة، فقال فيه بلفظين ومعناها واحد وإن اختلفا" (معاني القرآن للفراء: 163/1-164).

ويذهب الزجاج مذهب الكسائي، ولكن دون ذكره لاسمه في أن (أن) مسبوقة بحرف جرٍّ مقدّر، يقول: "والقول الصحيح عندي أن (أن) لا تلغى ههنا، وأن المعنى وأي شيء لنا في أن لا نقاتل في سبيل، أي: أي شيء لنا في ترك القتال" (معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 327/1).

ويردّ الفراء ما ذهب إليه الكسائي رداً يقوم على الوظيفة النحوية في الاستعمال غير الجائز على وفق تأويله للتركيب، إذ ذهب كما بيّنا إلى أنه يدل على المنع، والمنع عنده لا يكون إلا دالاً على الاستقبال، يقول: وقال الكسائي في إدخالهم (أن) في (مالك): هو بمنزلة قوله: (ما لكم في ألا تقاتلوا)، ولو كان ذلك على ما قال لجاز في الكلام أن تقول: مالك أن تقم، ومالك أنك قائم؛ لأنك تقول: في قيامك، ماضياً ومستقبلاً، وذلك غير جائز؛ لأن المنع إنما يأتي بالاستقبال؛ تقول: منعك أن تقوم، ولا تقول: منعك أن قمت، فلذلك جاءت في (ما لك) في المستقبل، ولم تأت في دائم ولا ماض، فذلك شاهد على اتفاق معنى ما لك وما منعك، وقد قال بعض النحويين: هي مما أضمرت فيه الواو، حذفت من نحو قولك في الكلام: ما لك ولأن تذهب إلى فلان؟ فألقى الواو منها؛ لأن (أن) حرف ليس بمتكّن في الأسماء، فيقال: أتجيز أن أقول: ما لك أن تقوم، ولا أجيز: ما لك القيام [فقال]: لأن القيام اسم صحيح و(أن) اسم ليس بالصحيح" (معاني القرآن للفراء: 165/1).

وما ذهب إليه الفراء من أن هذا التركيب لا يأتي دالاً إلا على الاستقبال كلام مردود بدلالات سياقية من النص القرآني الكريم، كما في قوله تعالى: **﴿مَّا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾** (سورة يوسف: 11) فقد أشار المفسرون أن يعقوب (عليه السلام) كان لا يأمن مكر أولاده بيوسف (عليه السلام) (التحرير والتنوير: 128/13)، وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقُوا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْزَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْزَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾** [إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله على كل شيء قدير] (التوبة: 38، 39)، فليس في الآية دلالة الاستقبال، ولكننا نشم منها دلالة التوبيخ لترك فعل القتال.

نجد أن اللغويين لم يفتنوا فطناً دقيقاً للفرق في الاستعمال القرآني، إنما كان توجههم مبنياً على المعيار، والاستعمال الفصيح من ألسنة العرب.

في حين سنبين في بحثنا هذا الفرق الدقيق في الاستعمال القرآني، إذ جعلنا من الإحصاء تبيانياً للمواطن التي تدخل فيها (أن) والتي تخلو من (أن)، وبيّنا الدلالة الزمنية لكلا التركيبين كما سيأتي في البحث.

التركيب في سورة النساء وسياقاته

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: 74، 75).

يلحظ في تركيب (ما لكم) ما يأتي:

أ- خلوّ الفعل المنفي من (أن).

ب- دلالة الأمر (فليقاتل).

ج- إعادة مادة الأمر بأسلوب النفي.

د- دلالة الالتفات من الغائب في قوله: (فليقاتل) إلى المخاطب في قوله: (مالك لا تقاتلون).

هـ- خلّو النّصّ من الحوار القائم على المحاججة والبرهان .

ويمكن تحليل سياقات التركيب إلى ما يأتي :

إنّ السياق في سورة النساء يشير إلى التحريض الشديد على القتال بعد تثبيط المنافقين لهم، وفيه تشديد على ألاّ يصغوا إلى مقال المنافقين؛ لذا كان الحثّ بأسلوب الاستفهام بـ(ما لكم) لكي يزيد من همّة المؤمنين ويرغبهم بطلب الشهادة في سبيله .
ونلاحظ في النّصّ خلّو الفعل المضارع المنفي من (أن) الناصبة التي تدلّ على الاستقبال؛ ف(إن) "والفعل بمنزلة مصدره، إلّا أنّه مصدرٌ لا يقع في الحال، إنّما يكون لما لم يقع إن وقعت على مضارع، ولما مضى إن وقعت على ماضٍ" (، المقترض: 6/2)، ومن هنا نلمس خلّو هذه الأداة في السياق؛ ذلك أنّ المقام لا يحتمل التراخي في الزمن؛ ولأنّ المسلمين في حال محنة شديدة أيام كانت هذه الآيات تنزل على الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالمدينة، وقد هاجمهم العرب من كلّ حذب وصوب لإطفاء نور الله (عزّ وجلّ)، ولهدم ما ارتفع من بناية الدين (الميزان: 415/4) .

وجاء الأمر بصيغة لام الأمر الدالّ على الغائب؛ وعلة ذلك - والله أعلم - أنّه سبحانه خاطب قومًا غير موجودين مع النبيّ، أو متقاعسين عن الجهاد، أو أنّه خاطب غير المسلمين، وقد حضّمهم على الدخول في الإسلام، ثمّ الجهاد مع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وسأسد أفعال بعض المفسّرين في هذا الشأن:
أ- هم المنافقون: وهذا قول الزمخشريّ " (الكشاف: 542/1) .
ب- الكفّار: وهذا قول الثعلبيّ (تفسير الثعلبي: 344/3) .

ج- المؤمنون: ويتبنّى هذا الرأي الواحدي، (ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 275/1)

د- أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وهو ما ذهب إليه السمعانيّ في قوله: "عتب على أصحاب رسول الله بترك القتال" (تفسير السمعاني: 447/1) .

ويلحظ في التركيب الاستفهامي (ما لكم) أنّه أعاد الفعل المنفيّ بلفظ الأمر السابق (فليقاتل)، في قوله: (فليقاتل)؛ ذلك أنّ الغاية في التركيب هو القتال لا غيره، وهذا ما نلمسه في تكرار مادة (القتال) في النّصّ كما في (فليقاتل، ومن يقاتل، فيقتل) ثمّ الآيات التي تتبعها - موضوع البحث- «الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ (النساء: 76 ، 77) .

ف نجد في هذه النصوص تحشيدًا لمادة الفعل (قتل)، كما في (يقاتلون في سبيل الله)، (كُتِبَ عليهم القتال)، (كُتِبَ علينا القتال) .
وخاطب الله سبحانه وتعالى المأمورين بالقتال من خلال أسلوب الالتفات، إذ انتقل من الغائب إلى المخاطب؛ كما في (فليقاتل) إلى المخاطب (ما لكم لا تقاتلون)، إذ دلّ هذا الالتفات على مناحٍ جمالية ودلالية، فأما المنحى الجماليّ فيكون لـ"تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال، لما جُبلت عليه النفوس من حبّ التقلبات والسامة من الاستمرار على منوالٍ واحدٍ" (الإلتقان في علوم القرآن: 229/2)، وأما المنحى الدلاليّ فقد دلّ على التوبيخ، وهو مناسب لسياق الآية، فقد ذكر الزركشيّ أغراض الالتفات، وهي التعميم، والتنبية، والتمميم، والمبالغة، والاختصاص، والاهتمام، والتوبيخ (البرهان: 330/3) .

6- إنّ النّصّ يخلو من الحوار المعهود في هذا التركيب، والقائم على الحجّة والبرهان، لأنّ الخطاب موجّه إلى من حول النبيّ إلى وجوب الجهاد، وقد خاضوا حروبًا سابقة لهذه الحرب كبر وأحد، لذلك جاء الخطاب لزيادة إيمانهم بسبب خطورة الموقف الذي تطوّر باجتماع العرب مع اليهود للقضاء على الرسالة، وكأنّ الشارع يذكرهم بأنّ قتالهم هو في سبيل الله لا غير، ثمّ يسترقّ قلوبهم أن عطف عليهم (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أي الشيوخ والنساء والأطفال، الذين حوصروا بمكة وأوذوا فيها .

التركيب في سورة الأنعام وسياقاته

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿ (الأنعام: 118 ، 119) .

نلاحظ في تركيب (ما لكم) في النص الكريم ما يأتي:

أ- فعل الأمر (فكلوا) .

ب- إعادة مادة فعل الأمر بأسلوب النفي .

ج- اقتران الفعل المنفي بـ(أن) في قوله (ألا تأكلوا) .

ويمكن تحليل سياقات التركيب إلى ما يأتي:

مناسبة الآية أنها سبقت في تشريع أكل الميتة؛ ذلك أنّ المشركين خاصموا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين في أكل الميتة قائلين: أتأكلون مما قتلتم أنفسكم، ولا تأكلون مما قتله الله؟ (ينظر: زاد المسير: 77/3) ، فنرى أنّ السؤال الموجه إلى المسلمين ذو وظيفة استنكارية "يتوسل المناظر فيه لتوبيخ الشكّ حول المواقف التي يتبناها خصمه، إذ يضعها موضع استبعاد أو استحالة، كما يتوخى من خلال هذه الصيغة إرباك الخصم" (بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل: 216) ، إذا فالاستفهام هنا وسيلة لحدّ المخاطب إلى مواقف دفاعية يحرم فيها المبادرة، وينشغل فيها برد النفي فقط .

في حين، نجد الإصرار على أكل ما يذبح الناس وما سمي اسم الله عليه من خلال فعل الأمر الصريح، ثم يردفه بالاستفهام، في قوله: (وما لكم...); وكأنما هذا الاستفهام يشعر باقتناع المسلمين بحجة المشركين في جواز أكل الميتة في كونها من قتل الله عزّ وجل، وهذا السؤال جواب للاستفهام السابق في مناظرة المشركين، وفي لحاظ هذا الجو المشحون بالتفكير كان السؤال القرآني سؤالاً هجومياً، فإنّ السؤال الجوابي يمتص الهجوم ويغيّر الاتجاه الحجاجي، ولذلك فهو سؤال مضاد، فمع السؤال الارتجاعي، تنتفي شرعية السؤال الأول (ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل: 220) .

واختلف أهل اللغة والتفسير في دلالة فعل الأمر (كلوا)، باعتبار الأكل وشرط التنكية، فمنهم من ذهب إلى أنه دالٌّ على الإباحة، ومنهم من ذهب إلى أنه دالٌّ على الوجوب، وحجة من ذهب إلى الإباحة هو أنّ "ظاهره أمرٌ ومعناه الإباحة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ (المائدة: 2) ، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: 10) ، هذا إذا أراد بأكله التلذذ، فهو إباحة يحتمل الترغيب في اعتقاد صحّة الإذن في أكله للاستعانة به على طاعة الله تعالى، فيكون أكله في هذه الحال مأجوراً" (أحكام القرآن للجصاص: 6/3 ، 7) . وأما من ذهب إلى الوجوب فقد استدلّ على التنكية في اشتراط الأكل وهو ما ذكر اسم الله عليه، مستدلين بالاشتراط الحاصل في النصّ في قوله: (إنّ كنتم بآياته مؤمنين)، و"التقدير ليكن أكلكم مقصوراً على ما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين والمراد أنه لو حكم بإباحة أكل الميتة لفتح ذلك في كونه مؤمناً" (التفسير الكبير: 165/13) .

ونعزو سبب مجيء (أن) الناصبة للفعل المضارع؛ ذلك أنّ ما يذبح أمرٌ حاصلٌ في كلّ وقتٍ، سواء كان حالاً أم استقبالياً، ولذلك جاءت (أن) مقترنة بالفعل المضارع المنفي بـ(لا)، إذ لم يقف النفي عند حدود الجحد، بل أنجز كذلك فعل التعويض، الذي يتمثل في إبطال معلومة الخصم، فنجد التعويض في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ﴾، فالتعويض جاء بصيغة (قد) التي أفادت التحقيق (التفسير الكبير: 165/13) ، بإثبات تشريع أكل ما ذكّي، فقد حقّق النفي عملية استبدالية، إذ تجاوز ما أنكر لإقرار ما يجب أن يتبنى، ثم إنه حول الاتجاه الحجاجي لصالح أطروحة النافي، متوخياً دفع الغير لمشاركته المعتقد، فالتعويض بالنفي تكون "حجته معاكسة في قوتها الحجية قول العارض" (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: 44) .

التركيب في سورة التوبة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة: 38 ، 39) .

نلاحظ في تركيب (ما لكم) ما يأتي:

أ- تأخر فعل الأمر عن تركيب (ما لكم) .

ب- دلالة (أناقلتم) وأثرها في إثراء النص .

ج- خلو النص من مادة الفعل المضارع المنفي، كأن يقول: وما لكم لا تتفرون)، ولكن نجد عنصر التهديد في قوله: (إلا تتفروا...).

ويمكن تحليل سياقات النص الكريم إلى ما يأتي:

مناسبة الآية أنها سيقت لتحريض المسلمين لغزو الروم في معركة تبوك، وقد خشي المسلمون مواجهتهم، وبدأ المنافقون يحركون مشاعر المسلمين ويجتنبونهم، وفيها بيان لجمل أوصافهم وعلائمهم، ونجد الآية تتضمن طرائق متنوعة من التعبير، فتبدأ بهذا النداء الخاص بالمؤمنين والتركيب الاستفهامي (ما لكم)، ثم جملة الشرط ب(إذا) ثم يأتي جواب الشرط بالفعل (أناقلتم) المعدى بحرف الجر (إلى)؛ لأنه ضمّن معنى (أخذ) (ينظر: الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم: 72)، ومعنى (أخذتم) أقمتم وأبطأتم" (ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: 260/1).

وسيق فعل الأمر (انفروا) مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يذكر النبي فيه، وحيء بالفعل المبني للمجهول؛ صوتاً للنبي وتعظيماً له، والتقدير: ما لكم إذا قال لكم النبي انفروا (ينظر: الميزان: 278/9)، ونلاحظ أيضاً أنّ فعل الأمر جاء بعد تركيب (ما لكم)، والمعهود أنّ فعل الأمر يسبق هذا التركيب، والعلة في ذلك فيما يبدو أنّ قول (انفروا) قد سبق، وأنه قيل للمؤمنين مراراً وتكراراً؛ لدلالة قوله: (قيل)، وهو فعل مبني للمجهول، وقد وقع الفعل (قيل) في سياق الشرط ب(إذا)، فمن معانيها أنّها تستعمل لما يُتّيقن وجوده أو رُجِح (ينظر: الجني الداني في حروف المعاني: 367)، لذلك لم يبتدئ النص بفعل الأمر .

فكما بيّنا سابقاً أنّ دلالة (ما لكم) قد خرجت إلى معنى التقرّيع والتوبيخ، وهذه الدلالة عزّزها السياق، فنلاحظ وجود الفعل (أناقلتم)، وهو فعل مشتق من النقل "كناية عن الرغبة في البقاء في الوطن، وعدم التحرك نحو الجهاد، أو الرغبة في عالم المادة واللصوق بزخارفها والانشداد نحو الدنيا، وعلى كلّ حال، فالآية تخاطب من كان كذلك من المسلمين - ضعاف الإيمان - لا جميعهم، ولا المسلمين الصادقين وعاشقي الجهاد في سبيل الله" (الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: 53/6).

وفي قوله تعالى: (أناقلتم إلى الأرض) صورة بليغة، تجسد حالة الإعراض التي واجهوا بها هذا الأمر، فأصل (أناقلتم) تناقلتم أدغمت التاء في التاء لمناسبتها لها، ثم جيء بألف الوصل؛ ليتمكن الابتداء بها ومثلها أداركوا" (البحر المحيط: 51/5)، ويقول الطبرسي في هذا التصوير: "تناقلتم وملتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها" (مجمع البيان: 55/5)؛ لذا جاء هذا اللفظ ليجمع كلّ هذه المعاني المرادة من النص الكريم؛ لما فيه من جرس موسيقي، ولما فيه من إيحاء للتناقل وكراهية النفور إلى الجهاد (ينظر: الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم: 73)، فضلاً عن دلالة شبه الجملة (إلى الأرض) التي أفادت المبالغة في الإعراض وشدته، ومجيء هذا التركيب (أناقلتم إلى الأرض) في موضع النصب على الحال بمعنى: (متناقلين) أكسبها دلالة أقوى على ثبوت الإنكار، أي مالكم متناقلين (ينظر: التحرير والتوير: 196/1)، وكّرر الاستفهام في سياق الآية في قوله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْزَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْزَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾؛ لإظهار شدة الإنكار والتقرّيع (ينظر: البحر المحيط: 51/5)، وفي القصر ترشيح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها، ويستدعي الرغبة فيها، وتجريد الآخرة عن مثل ذلك، مبالغة في بيان تحقير الدنيا ودناءتها، وعظم شأن الآخرة ورفعها (ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 88/1).

وقد عدل النص القرآني من الفعل المضارع المنفي ب(لا) بعد تركيب ما لكم، إلى الفعل المضارع المنفي بعد الشرط ب(إن) فبدل أن يقول: ما لكم لا تتفرون إذا قيل لكم، قال: ما لكم إذا قيل لكم ... إلى قوله: (إلا تتفروا ..) إذ إنّ الخطاب جاء مشحوناً بالملامة والعتاب والتقرّيع، فناسب أن يأتي بما هو أشد وأوقع في نفوسهم باستعماله الشرط ب(إن) فدلالة هذه الأداة أنّها أتت للتهديد والوعيد بعذاب الله فإن من معانيها التوبيخ، وهو "تعبير المخاطب على الشرط لتصوير أنّ المقام لاشتماله على ما يقلع الشرط عن أصله لا يصلح إلا لفرضه، أي فرض الشرط (كما يفرض المحال) لغرض من الأغراض" (شرح المختصر: 136/1 - 137).

خلو النص من الحوار من الطرف الآخر - المتخلف عن الجهاد - لأنه حجاج توجيهي، ذلك أنّهم معتقدون بالجهاد وبأنه حق فرضه الله عزّ وجلّ عليهم، ونلاحظ أنّه اكتفى بذكر القائل فقط، وهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

التركيب في سور يونس والصفات والقلم وسياقاته

1- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: 35) .

2- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ﴾ أم حَلَفْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاءًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ (الصافات: 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155) .

3- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ (القلم: 34 ، 35 ، 36) .

أ- سبق تركيب (ما لكم) بالاستفهام في جميع صوره .

ب- وجود لازمة (كيف تحكمون) مع تركيب (ما لكم) .

ج- عدم سبق جملة (ما لكم كيف تحكمون) بفعل الأمر .

د- الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في سورتي (يونس والقلم) .

هـ- تشبيه الأدنى بالأعلى في سورة القلم .

تشابه التراكيب في هذه السور في قوله تعالى: (ما لكم كيف تحكمون)، إذ تضمنت جميعها معنى التوبيخ، ففي سورة يونس دلّ السياق على قدرة الباري عزّ وجلّ في تقدير الرزق، وفي تملكه السمع والبصر، وإخراجه الحيّ من الميت وبالعكس، وعلى تدبيره الأمر، وفيه أبعاد حاجيّة من خلال الموازنة المعقودة بين الله سبحانه والشركاء، فالغاية من هذه الأبعاد "التأثير في هذا السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملاً ما، أو إزعاجه أو إحراجه أو غير ذلك" (يونس: 31)، فهنا يأتي دور إقناع المتلقّي بالحجج الظاهرة وسلب القدرة من تلك الأصنام، كما نجد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَزُرُّكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: 34)، ثمّ تلي هذه الآية جملة من الأسئلة التي تحير عقول المشركين، ومنها:

أ- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (يونس: 35) .

ب- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: 35) .

فإننا نجد الاستفهام بـ(هل) جاء مكرراً مع (من شركائكم من)، إذ إنّ التأكيد بتكرار الجملة يدلّ على فائدتين، إحداهما "معنويّة دلاليّة، فالجملة المكررة تحمل معنى، والتكرار يؤثر في تعميق هذا المعنى وفي زيادة بيانه، والأخرى صوتيّة أو نغميّة، فالجمل المكررة في مجموع أصواتها يكون في تكرارها ترديد للأصوات نفسها، فيساعد ذلك على خلق إيقاع لا ينفصل عن المعنى" (الصورة الشعرية عند ذي الرمة، عهود عبد الواحد عبد الصاحب، رسالة ماجستير، كلية التربية/جامعة بغداد، 1991/1412: 205) .

فضلاً عما تحمله دلالة (هل) من معنى النفي، لأنّ الجواب المتوقع من لدن المخاطب في الأغلب هو النفي، فضلاً عن أنّ (هل) أكد في الاستفهام من الهمزة، يقول برجستراسر: "(هل) أشدّ قوّة في الاستفهام، وقد ترمز إلى أنّ السائل يتوقّع الجواب بـ(لا)، ولذلك قد تقع بعدها (من) الخاصّة بالسلب" (التطور النحوي: 109)، فلم يشر النصّ الكريم في هذين الموضوعين الاستفهام بقدر ما قصد منهما الإنكار، ومما يعزز أنّ الاستفهام بـ(هل) يكون في الأكثر في النفي سياق الآية نفسها حينما استعمل الهمزة للإيجاب، في قوله تعالى: (أفمن يهدي ...) .

أمّا في سورة الصافات: 154، فنجد السياق يعرض لمسألة الخلق، وأنهم - أي المشركون - كانوا يعتقدون أنّ الملائكة بنات الله، فأمر الله عزّ وجلّ نبيه أن يردّ على وجه التقرّيع والتوبيخ قولهم وادّعاءهم .

وأما السياق في سورة القلم، فهو في ذكر حال الداخلين إلى جهنّم بسبب أعمالهم في الدنيا، وفي ذكر حال المؤمنين الذين وعدهم الله بجنات الخلد، وهذه الموازنة لا تحمل المساواة، إذ إنّ التسوية بين المطيع والعاصي غير جائزة" (التفسير الكبير: 92/30)، لذلك ورد الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾، وهذا الإنكار يقتضي أنّ ما بعدها غير واقع وأنّ مدعيه كاذب (ينظر: معني اللبيب: 17/1 - 18)، مهّد إلى ذكر جملة (ما لكم كيف تحكمون)، "تهجيباً لهم وتوبيخاً، ومعناه: أعلى حال الصواب أم على حال الخطأ؟ وعلى حال الرشاد أم الغي؟ فعلى أيّ حال تحكمون في الأحوال التي تدعون إلى الفعل؟ أحوال الباطل أم حال الحق؟" (التبيان: 84/10 - 85) .

ثم يعطف على جملة ﴿ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (بأم) العاطفة بأكثر من جملة، إذ تعدّ من الحروف التكرارية القائمة على شدة تنوع المعاني الحاصلة من مضامين العناصر الداخلة عليها، وهذا التنوع يجيء لحصر النتيجة والتكهن بها على نحو دقيق عند المتلقي (ينظر: أصول تحليل الخطاب: 565/1)، فإثارة الأسئلة هي الأساس الذي ينبني عليه الخطاب (ينظر: الحجاج في القرآن: 39)، كما في الآيات التي تلي الآية: 35، ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ (القلم: 37)، و﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالِغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: 38).

إنّ السياق الذي يرد فيه (ما لكم) المصحوب بـ(كيف تحكمون)، يرد في الأمور التي لم يدركها الإنسان، والتي فيها ادعاء باطل، فالحكم جاء بعد اسم الاستفهام (كيف) الذي خرج غرض التوبيخ، والسياق هو الذي أدى هذا المعنى كما بيّنا من تعدّد الاستفهام، فضلاً عن استعماله فعل (تحكمون)، الذي يدلّ على عدم الوقوع في الخلط والامتناع عنه، وقد جاء في سياق الاستفهام بـ(كيف) الذي ناسب التهكم، بخلاف دلالاته المعجمية، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: "الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظلم... والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكمت فلاناً تحكماً منعته عما يريد. وحكمت فلاناً في كذا، إذا جعل أمره إليه" (معجم مقاييس اللغة: 91/2 (حكم)).

لم يسبق تركيب (ما لكم) في هذه السور بأفعال أمر، إنّما سبق تحت أسلوب الاستفهام كما بيّنا، والعدول عن فعل الأمر إلى الاستفهام، ذلك أنّ المعنى الضمني لهذه الآيات يشير إلى الأمر وكأنّ الأمر في سورة يونس (هدوا إلى الحق)، والثاني في سورة الصافات (كفوا عن كذبكم)، والثالث في سورة القلم (أمنوا بالله)، فنحن نجد عند النحويين ما يفيد أنّ الأمر والنهي هما أصل الطلب، وأنّ سائر المباحث من استفهام وتمنّ وعرض، إنّما هي بمنزلة الأمر والنهي (ينظر: شرح ابن يعيش: والإنشاء في العربية: 244)، وأمّا ما يخصّ سياقات الآيات المذكورة آنفاً، فنجد تكليف الشارع في الأوامر والنواهي ضمناً "فالأمر يستلزم قصد الشارع إلى إيقاعها، ثمّ إنّ النهي يستلزم قصده لترك إيقاعها، وذلك أنّ معنى الأمر والنهي اقتضاء الفعل واقتضاء الترك" (الموافقات، للشاطبي: 122/3).

ونلاحظ أنّ جميع السور التي جاء فيها (ما لكم كيف تحكمون) قد ذُكر فيها عنصر الانتقال من الغيبة إلى الخطاب "وهذا الالتفات فيه تعجّب من حكمهم واستبعاد له، وإشعار بأنّه صادر من اختلال فكرٍ واعوجاج رأي" (تفسير الصافي: 213/5). ثمّ إنّنا نجد أنّ قاعدة التشبيه قد اختلفت في سورة القلم؛ ذلك أنّه شبه الأعلى بالأدنى، أي شبه المسلمين بالمجرمين، والأصل تشبيه الأدنى بالأعلى، أي تشبيه المجرمين بالمسلمين، وتقديم المشبه (المسلمين) بنزوه لأمرين:

الأول: العناية بالمسلمين: لأنّ من أغراض التقديم التأكيد على أن المتقدّم هو الأهمّ، و"كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعتى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم، ويعنيانهم" (الكتاب: 34/1)، فعليه أنّ التقديم والتأخير يستعمل لتحقيق غرضين: الأول: الاختصاص، والثاني لمرعاة نظم كلام، "وذلك أن يكون نظمه لا يحسن إلاّ بالتقديم، وإذا أُرّ المقدم ذهب ذلك الحسّن، وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص" (المثل السائر: 216/2)، فنحن نجد مراعاة النظم جاء متسقاً مع تقديم المسلمين، ذلك أنّ الآية سُبقت بذكر المتّين المستحقين للجنة.

الثاني: مراعاة الاعتقاد: إذ كان المخالفون يعتقدون بسيادتهم في الآخرة، لذا أُرّهم إلى ما هو أعلى تهكماً، جاء في الكشّاف: "إنّ الكفّار كانوا يقولون: نحن نسود في الآخرة، كما نسود في الدنيا، ويكونون أتباعاً لنا، فكما أعزنا الله في هذه الدار يعزنا في الآخرة، فجاء الجواب على معتقدتهم أنّهم أعلى، وغيرهم أدنى" (البرهان، للزركشي: 428/3 - 429).

التركيب في سورة الصافات وسياقاته

﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: 24، 25].

نلاحظ في سياقات هذه الآيتين ما يأتي:

- 1- خلو الفعل المنفي (لا تناصرون) بفعل الأمر من مادة الفعل نفسه.
- 2- استعمال صيغة (تفاعل) في قوله: (تناصرون).
- 3- خلو الفعل منفي من (أن) الناصبة.

نلاحظ أنّ السياق قد جاء بعد أمر الله (عزّ وجلّ) الملائكة بحشر الظالمين مع أزواجهم وضربائهم، "وهم نظراؤهم وأشباهم من العصاة، أهل الزنا مع أهل الزنا، وأهل السرقة مع أهل السرقة، وقيل: قرناؤهم من الشياطين، وقيل: نساؤهم اللاتي على دينهم" (الكشاف: 338/3)، كما في قوله تعالى: ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (الصافات: 2) .

لهذا ورد تركيب (ما لكم) لبيان عجزهم عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا، فالمرتبة البلاغية لهذا التركيب جاءت في أعلى مستوياته، ويمكن ضمه في المرتبة العليا لإفادة الغلبة، فإنّ نفي التناصر وقع تحت قانون الخفض الذي يعني أنّ ما دونه غير متحقق، ومقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة في السلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها (ينظر: اللسان والميزان والتكوثر العقلي: 277)، ممّا يعني حالة الذهول والعجز التي هم فيها، ومصداق ذلك ما جاء في قول الزمخشري في تصوير الهم من خلال السؤال بـ(ما لكم): "هذا تهكّم بهم، وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين" (الكشاف: 338/3).

ونجد أنّ هذا التركيب غير مسبوق بفعل الأمر من مادة الفعل المنفي (لا تناصرون)، فلم يقل تناصروا ما لكم لا تناصرون!، ذلك أنّ التناصر جاء بلحاظ إثبات العجز، على سبيل التهكّم لا الاستفهام الحقيقي، هذا من جانب، أما الجانب الآخر أنّهم في عالم أخروي ملؤهم الخوف من العذاب وانشغال كلّ شاخص بنفسه.

كما استعمل الفعل (تناصر) على زنة (تفاعل)، وهذه الصيغة فيها دلالة على المشاركة (ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: 99/1)، وكذلك التدرج (ينظر: الواضح في علم الصرف: 125)، والقصد في هذه الصيغة في هذا السياق هو المشاركة، وهي أكثر قوة من صيغة (فاعل)؛ لأنها تدلّ على التشريك بين اثنين فأكثر، فيكون كلٌّ منها فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى (ينظر: الشافية: 99/1، ونزهة الطرف: 112)، فكلاهما فاعل ومفعول، ممّا يعني حالة الانصهار والذوبان الفكري بين المتناصرين، على خلاف صيغة (فاعل) التي تدلّ على التشريك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدٌ ما فعلاً فيقابلة الآخر بمثله، وحينئذٍ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية (ينظر: شذا العرف: 42)، ممّا يعني أنّ ثمة طرفاً مؤثراً في أفكار المقابل، وهذا المعنى غير مراد في النصّ الكريم، ومن ثم كان لاستعمال هذه الصيغة بعدّ قصديّ، فلم يقل: انصروا أنفسكم، بإرادة إثبات قوتهم كلٌّ على حدة، بل مجتمعين، وقد أفاد القصد من هذه الصيغة إثبات عجزهم متشاركين أو مجتمعين، فضلاً عن ذلك أنّه (تعالى) حذف (تاء) المضارعة لغاية بلاغية فقد حذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد حذف حرفاً أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كلّ ذلك لغرض بلاغيّ (التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي: 74)، فعلى ما يبدو - والله أعلم - أن (تنصاصرون) فيها تزيّن وراحة وانفاق، في حين إنّ (تنصاصرون) فتقتضي العجلة والاتفاق السريع، وهو غير متحقق في عالم الحساب .

ونلاحظ أيضاً خلو النفي من (أن)، وذلك أنّ الموقف لا يحتمل الزمن، فهم في يوم الفصل، كما ذكر في آية سابقة ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (الصافات: 21) .

كما نلاحظ عملية استبدال النفي التي تحققت بالأداة (بل)، فقد تجاوزت نفي التناصر إلى الإقرار بما يجب أن يتبنونه في الدنيا، فقد حولت هذه الأداة (بل) البرهان لصالح النافي، مع توخي مشاركتهم في المعتقد الذي كان يجب عليهم الأخذ به .

التركيب في سورة الصافات: 91 ، 92 وسياقته

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْتَفُونَ﴾

نلاحظ هنا ما يأتي:

- 1- السياق دالّ على البرهان والاستدلال وكشف الزيف .
- 2- لم يتصدر تركيب (ما لكم) فعل أمر، بل سيق بأسلوب طلبي آخر .
- 3- لم يقترن الفعل بـ(أن) الناصبة.

على وفق تلك القرائن، لا بد من معرفة الخطاب الذي أدى إلى نشوء ذلك التركيب (ما لكم)، فالسياق يتحدث عن خروج قوم إبراهيم (عليه السلام) إلى عيدهم، وفي تلك الحالة مرّوا عليه (عليه السلام)، فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ فقال: أنا سقيم، وقد كان بالأمس، قد قال: تالله لأكيدنّ أصنامكم، فسمعه أناسٌ منهم، فلما خرجوا، انطلق إلى أهله، فأخذ طعاماً، ثمّ انطلق إلى آلهتهم،

فقرّبه إليهم، فقال: ألا تأكلون، فكسرها إلا كبيرهم، ثم ربط في يده الذي كسر به آلهتهم، فلما رجع القوم من عيدهم، دخلوا، فإذا هم بآلهتهم قد كسرت، وإذا كبيرهم في يده الذي كسر به أصنامهم، قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ فقال الذين سمعوا: إبراهيم قال: تالله لأكيدن أصنامكم... فجادلهم عند ذلك إبراهيم" (الدر المنثور: 321/4).

فمن خلال السياق يتبين أنّ تركيب (ما لكم) جاء لإلقاء الحجة وإعمال العقل وصحة البرهان، فقد حمل هذا الاستفهام تكميلاً دلاليّاً مزدوجاً، إذ حمل المعنى الحقيقي في الكشف عن الحقيقة، ذلك أنّ (ما) من الأدوات "التي يزدوج إنتاجها، حيث تكون مهمتها طلب شرح الدال الذي تتسلط عليه، أي شرح مدلوله" (البلاغة العربية، قراءة أخرى: 290)، فلو قلنا على سبيل المثال:

ما الإنسان؟

ما الدنيا؟

يرتد في العمق إلى:

ما حقيقة الإنسان؟

ما حقيقة الدنيا؟

فالارتداد العميق الذي حمله تركيب (ما لكم) حمل معنى الكشف عن حقيقتهم وما يعبدون، فبنية الاستفهام من لدن النبي (إبراهيم عليه السلام) أدى إلى طرح بنية عميقة، أفصح عن الوظيفة الإنتاجية للأداة، فضلاً عن أنّ المسار الذي يصل المقدمات بالنتائج، ويتيح الانتقال بين عناصر البناء الحجاجي في الاستدلال الجدلي، يتم بطريقتين: تحدّان في القياس والاستقراء، يقول أرسطو: "أحدهما استقراء النظائر والآخر القياس، وأما الاستقراء، فهو الطريق من الأمور الجزئية إلى الأمر الكلي، وهو أكثر إقناعاً، وأبين، وأعرف في الحس، وهو مشترك للجمهور، فأما القياس، فهو أشدّ إلزاماً للحجة، وأبلغ، عند المناقضين" (منطق أرسطو طاليس: 507).

فبالرجوع إلى الآية المباركة، نجد الاستقراء والقياس اللذين قدّمهما النبي إبراهيم (عليه السلام)، فلان يأكل الطعام، إذن كل إنسان يأكل الطعام، من ثم يكون صنمهم عاجزاً على أكل الطعام، إذاً هو إله وهمي اصطنعوه من مخيلتهم .
لذا كانت الغاية التي خرج فيها الاستفهام إلى المعنى المجازي غايةً محورية في إثبات العجز للأصنام وتوبيخ عابديها، يقول الطوسي في ذلك: "وإنما جاز له أن يخاطب الجماد تهجيناً لعابديها وتنبهها على أنّ من لا يتكلّم، ولا يقدر على الجواب، كيف تصح عبادتها، فأجراها مجرى من يفهم الكلام، ويحسن ذكر الجواب؛ استظهاراً في الحجة وإيضاحاً للبرهان، لكل من سمع ذلك ويبلّغه" (التبيان: 8/).

لم يتصدّر التركيب (ما لكم) بفعل الأمر، وإنّما تصدّر بأسلوب طلبي آخر، وهو (ألا) على الرغم من اختلاف دلالتها بين النحويّين، إذ يرى سيبويه أنّ (ألا) مثل (هلاً) لا تتجرد من معنى الاستفهام، وإنّما معنى (العرض) أو (التحضيض) مستفاد من الاستفهام فيها، "تقول: (هلاً تقولن)، و(ألا تقولن) ... فكأنك قلت: (افعل)، لأنّه (استفهام) فيه معنى العرض" (الكتاب: 514/3).
في حين وجّه لها عبد القاهر الجرجاني توجيهاً آخر، يقول: "وليس هذا باستفهام؛ لأنك لا تقصد بقولك: (ألا تنزل) أن تستفهمه عن ترك النزول، وإنّما القصد أن تذكره ذلك وتعرضه عليه فقط" (المقتصد في شرح الإيضاح: 1064/2). وإذا عدنا إلى النصّ الكريم نجده يتوافق مع ما ذكره الجرجاني، من أنّ النبي (عليه السلام) كان قصده استنطاقهم لا أمرهم بالأكل .

ما يهمننا في هذا الاستعمال أنّ ثمة عدولاً من فعل الأمر إلى العرض، وهو مناسب مع حالة الجماد، ويبدو لي أنّ في معنى الحثّ مبالغة أكثر من فعل الأمر، وهذه المبالغة متأتية من مد صوت الألف في (ألا)؛ إذ يخلق التنغيم في مد صوت الألف بنحو متساعد، ثم الهبوط في مده حيزاً من التهكم والتحقير، فهذه "تغييرات تنتاب صوت المتكلم من صعود وهبوط، ومن هبوط إلى صعود؛ لبيان مشاعر الفرح والغضب والنفي والإثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب" (في البحث الصوتي عند العرب: 67). إذ كان النبي إبراهيم (عليه السلام) في حالة تهكم من أصنامهم من خلال تمطيط صوت الألف .

كما لم نجد في النصّ الكريم (أن) المصدرية؛ لأنّه (عليه السلام) - كما بيّنا - في معرض حثّ وحضّ لاستنطاقهم في نفي قدرتهم على الأكل، فإنّ الموقف لا يحتمل الزمن القريب حتى، فضلاً عن ذلك أنه لم يُعد مادة الفعل (تأكل) بعد تركيب (ما لكم)، فلم يقل على سبيل المثال: ألا تأكلون وما لكم ألا تأكلوا، وإنما ورد تنطقون؛ لأنّ الغرض من عرض الطعام ليس الأكل؛ لأنّه (عليه السلام) يعلم أنهم غير قادرين على ذلك؛ وإنّما أراد توضيح عجزهم لقومه تهجيناً لها.

التركيب في آية الحديد 8 ، 10 وسياقاتهما .

- 1- ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. الحديد: 7 ، 8 .
- 2- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الحديد: 10 .

يلحظ في سياق التركيب ما يأتي:

- 1- تقدم فعل الأمر (آمنوا) على الفعل (أنفقوا) .
- 2- لم يقترن فعل الإيمان ب(أن)، في حين اقترنت مع فعل الإنفاق .

ويمكن تحليل سياقات التركيب إلى ما يأتي:

بعد أن ذكر الله (عز وجل) بدائع قدرته في خلق السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: 5)، إذ بين أنه عز وجل أن كل شيء ملكه، فحري على الناس ألا يجحدوا فضل خلقهم، وأن ينفقوا مما رزقهم في سبيله .

نلاحظ أن تركيب (ما لكم) سبق بعد فعلي الأمر (آمنوا) و(أنفقوا)، وقد تقدم الإيمان على الإنفاق؛ لأن الله تعالى ذكر آيات الخلق، وهذه الصفة محفزة للحركة تجاهه تعالى؛ ثم إن الإيمان أوجب من الإنفاق في سبيله، فلا إنفاق في سبيله بلا إيمان به وبرسوله (صلى الله عليه وآله)، لذا كان الإنفاق أحد لوازم الإيمان، يقول تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾، أي "من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها، فهي في الحقيقة له لا لكم، أو التي استخلفكم عن قلبكم في تملكها والتصرف فيها، وفيه حث على الإنفاق وتهوين للنفس" (تفسير البيضاوي: 297/5) .

ولما كان الخطاب في فعلي الأمر أفاد عموم البشر من المؤمنين وغيرهم بالإيمان بالله وبرسوله، وهي دعوة عامة لجميع البشر، فهي تدعو المؤمنين إلى إيمان أكمل وأرسخ، وتدعو غير المؤمنين إلى التصديق والإيمان بما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)" (الأمثل: 26/18)، فقد أفاد التركيب الاستفهامي (ما لكم) توبيخ غير المؤمنين الذين يرون عجائب قدرته. وكذلك نلاحظ في الآية نفسها أنه سبحانه دعا إلى الإيمان به دون الرسول، كما في: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾، إذ يفهم منه إشارة إلى أن الإيمان بالله تعالى إيمان ضمنى بالرسول (ينظر: التفسير الكبير: 62/4). وكذلك نلاحظ أن الخطاب للنبي كان بصفة الرسول دون اسمه، وفيه نكتة بلاغية تدل على التعظيم. (ينظر: جوامع الجامع، الطبرسي: 46/3).

ونجد عدم تصدّر (أن) للفعل المضارع المنفي ب(لا) في قوله: (لا تؤمنون)؛ لأن الإيمان لا يستدعي الاستقبال، وإنما يستدعي الأزمان كلها بلا مهلة، في حين تصدر فعل الإنفاق ب(أن)؛ ذلك أنه لا يتم إلا بعد الإيمان به تعالى، ولا يتحقق إلا عند المقدرة، فمتى ما اقتدر المؤمن وجب عليه الإنفاق من ماله .

التركيب في سورة نوح الآية: 13 وسياقاته .

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاطٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: 10 ، 11 ، 12 ، 13).

1- لم يقترن الفعل (لا ترجون) ب(أن) .

2- لم يسبق التركيب بفعل أمر من مادة الفعل نفسه .

مناسبة الآيات المباركة أنها سبقت لذكر دعوة النبي نوح (عليه السلام) قومه إلى الإيمان بالله (عز وجل)، وكان قومه مصريين على الشرك، قال مقاتل: "لما كذبوا نوحاً زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة، فهلكت مواشيهم

وزروعهم، فصاروا إلى نوح (عليه السلام)، واستعانوا به، فقال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، أي كذلك لمن أناب إليه، ثم قال ترغيباً في الإيمان: يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموالٍ وبنين، ويجعل لهم جناتٍ، ويجعل لكم أنهاراً" (تفسير القرطبي: 308/18).

نجد بعد هذا الترغيب في الإيمان، مجيء الاستفهام بـ(ما لكم)، أي، إنهم بعدما رأوا علائم رحمة الله، كان لا بد لهم من الخضوع لتلك العلامت، والإذعان له وحده، ومن هنا حمل هذا الاستفهام دلالة التوبيخ، ومعناه: ما لكم لا تخافون عظمته (معاني القرآن، للفراء: 188/3).

لا بد أن نشير أن هذا التركيب جاء بعد أسلوب الشرط، إذ مثل هذا الشرط وظيفة لغوية صرفة، تم من خلالها تقريب العناصر المتبادعة ومنحت فرصة توحيدها من أجل تنظيمها (ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: 477. بحث).

وكذلك، إننا لم نجد فعل أمر من لفظ الفعل (رجا)، كأن لم يقل: أرجوا الله، ذلك أن فعل الاستغفار أكثر وقعاً من فعل الرجاء، بسبب إهلاك الله لمواشيهم وزروعهم؛ ومن ثم يكون الاستغفار الذي هو توسل؛ للإرجاع الحتمي لما فقده من النعم التي أسبغها الله تعالى عليهم.

تركيب (ما لهم) وسياقاته

1- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَنَفِّوْنَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأنفال: 34 .

2- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقِيقِ﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقِ﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقِ﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقِ﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الانشقاق: 16 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 .

3- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ المدثر: 49 .

يلحظ في التركيب (ما لهم) ما يأتي:

1- التركيب في سورة الأنفال، يتألف من:

اسم الاستفهام + أن الناصبة + لا النافية + الفعل المضارع المسند إليه لفظ الجلالة.

في حين يخلو التأليف في سورة الانشقاق من (أن) الناصبة، وتلاحظ أن المسند إلى الفعل هو ضمير عائد على المشركين . وأما في سورة الأعراف، فتخلو الآية من وجود (أن) و(لا) النافية، وإنما جاء بلفظ دالٍ على النفي، وهو الإعراض، الذي يخالف الإقبال. 2- لم يرد الأمر في سياقات تركيب (ما لهم)، وسنعرض ذلك في سياقاته .

ويمكن تحليل سياقات التركيب إلى ما يأتي:

سياق الآية في سورة الأنفال جاء في تعذيب الله المشركين من أهل مكة الذين كانوا في مأمنٍ من عذابه (عزّ وجلّ)؛ لأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله)، بين ظهرائهم، فضلاً عن وجود المسلمين الذين يكثرّون الاستغفار، ولكن بعد أن مضى عنهم الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن معه، كان عذابهم حقاً على الله (عزّ وجلّ)؛ لذهاب ما يوجب الرحمة منه تعالى .

أما السياق الآية في سورة الانشقاق، فقد كانت في بدائع قدرة الله (عزّ وجلّ)، مع أدلة الحق الواضحة، كالتوحيد، والمعاد، فضلاً عما في الآفاق من آيات، كخلق الليل والنهار، والشمس والقمر، والنور والظلمة، وشروق الشمس وغروبها، والشفق، واكتمال القمر، وكذلك الآيات التي في نفس الإنسان منذ كينونته نطفة في رحم أمّه، وما يطويه من مراحل حتى يكتمل جنيناً، مروراً بما يمرّ في حياته الدنيا، حتى يدركه الموت، فمع وجود الأدلة والآيات، يكون السؤال في ابتعادهم عن الإيمان (ينظر: الأمثل: 20/). في حين تناول سياق الآية في سورة المدثر المعرضين عن القرآن في الدنيا، وحالهم في الآخرة .

من خلال السياقات المقامية المذكورة آنفاً نلاحظ أنّ تركيب (ما لهم) لا يرد إلا في مواطن العذاب، وهو توبيخ وتقريع للذين يعرضون عن الاستغفار كما في سورة الأنفال وفي سورة الانشقاق، إذ يقول الشيخ الطوسي معلقاً على قوله تعالى: (فما لهم لا يؤمنون): "ثم قال على وجه التبكيت لهم والتقريع (فما لهم لا يؤمنون)، أي: أي شيء لأجله لا يصدقون بالله واليوم الآخر، ولا يعترفون بالثواب والعقاب، وقيل: معناه: ما لهم لا يؤمنون: أي ما وجه الارتياب الذي يصرفهم عن الإيمان" (التبيان: 313/10) .

وأما في آية سورة المدثر، فخرج الاستفهام إلى معنى التقرّيع والتعجب، يقول صاحب الميزان: " (فما لهم عن التذكرة معرضين) تقرّيع على ما تقدّم من ذكر الموعظة، والاستفهام للتعجب، ... والمعنى: فإذا كان كذلك، فأى شيء كان - عرض - للمشركين الذين يكذبون بتذكرة القرآن حال كونهم معرضين عنها، أي كان من الواجب عليهم أن يصدّقوا ويؤمنوا، لكنهم أعرضوا عنها، وهو من العجب" (الميزان: 98/20-99) .

نلاحظ في سورة الأنفال وجود (النفى وأن)، في حين تخلو الآية في سورة الانشقاق من (أن)، وخلو الآية من سورة المدثر من الفعل المضارع المنفي، والسبب - والله أعلم - من وجود (أن) هو أنّ الله (تعالى) توعدّ المشركين بالعذاب في حال خروج النبي (صلى الله عليه وآله)، ووقوع العذاب بعد خروجه فيه قولان:

الأول: إنّ العذاب وقع على المشركين يوم بدر .

الثاني: إنّ هذا العذاب سيقع في الآخرة .

ومهما يكن من أمر، فإنّ العذاب متحقّق بعد الآية الكريمة، سواء أكان في يوم بدر أم في يوم القيامة؛ لهذا ناسب دخولها على الفعل المضارع .

أما خلو الفعل المضارع المنفي من (لا)، فقد بيّنا أنّ الإيمان لا يكون فيه فسحة للتفكير بقدرة الخالق؛ لأنّها ماثلة أمامهم؛ لذلك لا يتناسب دخولها على الفعل المضارع المنفي .

وفي سورة المدثر، فقد خلت الآية من الفعل المنفي؛ لأنّه استعاض عنه بلفظ دالّ على النفي، وهو (الإعراض) الذي هو نقيض (الإقبال)، ويذهب الفراء إلى أنّ هذا التأليف هو الأساس في التركيب الاستفهامي (ما لكم) (معاني القرآن: 165/1) .

فإذا كان التأليف الأساس لهذا التركيب هو الإعراض، ممّا يعني عدولاً في البنية السطحية لا العميقة، إذ إنّ غايات هذا العدول، في معظمها نفسية جمالية، تهدف إلى مفاجأة القارئ أو السامع بشيء جديد، ومن هنا يميل علماء الأسلوب إلى اعتبار الانزياح حيلة مقصودة لجذب انتباه المتلقّي، فالقيمة الفنية تتطلب من الناصّ أن يفاجئ المخاطب من حين إلى حين بعبارة تثير انتباهه حتى لا تقتر حماسته (الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس: 180) .

ممّا تقدّم من السياقات نلاحظ غياب أساليب الطلب قبل تركيب (ما لهم)، كما نجد في المجرور بعد (اللام) وهو الضمير (الهاء) في (ما لهم)، وهو لا يتناسب مع سبقه بأسلوب طلب الذي يحمل الخطاب المباشر، ونعزو السبب في ذلك أنّ الخطاب فيه خصوصية التلميح، الذي يؤدي بالمخاطب إلى البحث عن البرهان والبحث عن الحقيقة التي إن غفل عنها، أدت به إلى العذاب الأليم، يقول الدكتور صلاح فضل: "هناك بعض الأشكال البلاغية التي لا يمكن التعرف عليها إلا داخل سياقها، وذلك مثل التلميح، إذ إنّ بنيته ليست نحوية ولا دلالية، بل إنّها ترتبط بعلاقة مع شيء، ليس هو الموضوع المباشر للخطاب، فإذا تمّ تلقّي هذه الطريقة في التعبير على أنّها غير عادية، كنّا حيال شكل بلاغي، فحركة الخطاب، وتأييد المتلقّي لطريقة البرهنة التي تعزّز الشكل البلاغي، أو ما يحدّد نوع المائل أماننا، وبهذا فإنّ التلميح يكاد يكتسب دائماً قيمة برهانية؛ لأنّه يعتمد على عنصر الاتفاق والتواصل" (بلاغة الخطاب: 134) .

تركيب (ما لي) وسياقاته

- 1- ﴿وَتَقَعْدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ النمل: 20 .
- 2- ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس: 21، 22 .
- 3- ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ... وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ غافر: 41 .

نلاحظ في تركيب (ما لي) ما يأتي:

- أ- لم تتصدر الآية في سورة النمل بفعل الأمر، في حين تصدرت الآيتان في سورة يس وغافر بفعل الأمر .
- ب- إنّ الآيات التي ذكر فيها هذا التركيب سيق بأسلوب الحوار .
- ج- نسبة الاستفهام إلى المتكلم، في قوله: (ما لي)، ولم يأت على هيئة (ما للهدد لا أراه)، ولا (ما لقومي) وسنعرض الفرق بين الدالّتين .

د- في سورة النمل ويس، جاء التركيب على هذا التأليف: ما + لي + لا النافية .

في حين جاء التأليف في آيتي (النمل) و(يس) على هذا النحو (ما + لي + لا النافية + الفعل المضارع الدالّ على المتكلم + الضمير العائد على شخص المتكلم).

هـ_ لم يرد هذا التركيب إلا على لسان المؤمنين .

ويمكن تحليل سياقات هذا التركيب إلى ما يأتي:

جاءت الآية : 20 من سورة النمل في سياق مرور النبي سليمان (عليه السلام)، وجيشه على وادي النمل، إذ سمع نملة وهي تحذر قبيلتها من تحطيم جند سليمان لهم؛ لأنها ظنّت أنّ سليمان (عليه السلام) وجيشه لا يعبأ بهم، فحين سمع قولها تبسّم، فحمد الله على نعمه عليه وعلى والديه، وهو في هذه الحال مرّ على وادٍ بور خالٍ من الماء، وكان جيشه محتاجاً إلى الماء، وكان الهدهد هو الدليل الذي يوصل المعلومات إلى النبي سليمان (عليه السلام)، فتوقّده، فتوقّده بالعذاب أو الذبح أو أن يأتيه بخير يسعفه بسبب غيابه .

أما سياق الآية: 22 من سورة يس، فقد تناول حكاية رجلٍ جاء قومه من أقصى المدينة، فقال: (اتبعوا من لا يسألكم أجراً)، أي اتبعوا يا معاشر الكفار من لا يطلبون الأجر منكم، ولا يسألونكم أموالكم، على ما جاؤوكم به من الهدى (وهم) مع ذلك مهتدون إلى طريق الحقّ، سالكون سبيله، فلما قال هذا، أخذوه ورفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم، فقال: (وما لي لا أعبد الذي فطرني)، أي: وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي الذي أنشأني، وأنعم عليّ، وهداني .

وأما السياق في سورة غافر، فقد ورد بعد ذكر تمرّد فرعون وإدعائه بالإلهيّة لنفسه، ومن ثمّ ذكر حكاية المؤمن الذي حاجّ قوم فرعون .

من خلال السياقات المتقدّمة يتبيّن أنّ تركيب (ما لي) يقع في مشادّات كلاميّة، تقوم على الحجة والبرهان، وكشف الزيف وإظهار، فلو تأملنا كلام النبي سليمان (عليه السلام)، لوجدنا إرادة البرهان واضحة في أسلوبه، فهو يستفهم في بادئ الأمر عن الهدهد، وقد عزا القصور إلى نفسه، وهذا واضح في قوله: (ما لي)، ولم يقل: (ما للهدهد لا أراه)؛ لأنّه (عليه السلام) سأل الله تعالى أن يوتيّه الملك، وأنّ يسخر له الخلق، وقد عجز عن إيجاد الطير، وفي ذلك يقول ابن عربي: " إنّما قال: ما لي لا أرى الهدهد؛ لأنّه اعتبر حال نفسه؛ إذ علم أنّه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق، فقد لزمه حقّ الشكر بإقامة الطاعة، وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد، توقّع أن يكون قصر في حقّ الشكر، فلأجله سلبها، فجعل بتفقد نفسه، فقال: ما لي " (أحكام القرآن: 479/3) .

ويبدو أنّه (عليه السلام) أراد أن يبرئ الهدهد من أول وهلة، لذلك نسب إلى نفسه السؤال؛ لأنّه يعلم أنّ الهدهد لا يغيب في مثل هذه المواضع، ومن هنا قدّم ثلاثة أحكام:

الأول : العذاب الشديد .

الثاني : الذبح .

الثالث : السلطان المبين .

وقد وقعت الأحكام الثلاثة في سياق التوكيد بالقسم ونون التوكيد الثقيلة؛ وهو عدولٌ كميّ بالزيادة من درجة الصفر (أعذب، أدبح، يأتي)، والذي أملى هذه الزيادات في اللفظ والمعنى، إنّما هو المقام، أو ما يمكن أن نسميه بعبارة السكاكي (الاعتبارات الخطابية) (ينظر: مفتاح العلوم، 171)، فيكون الكلام بذلك مطابقاً لمقتضى الحال (ينظر: الحجاج في القرآن: 257)، فالمخاطب في التوكيد لا يستطيع أن يعترض على الكلام بقوله على سبيل المثال: لا أوافق أو أعترض، إذ ليس له إلا أن يوافق على القضية المعروضة عليه، وهذه الموافقة هي انصياع الخصم التي يفهم مضمونها من الكلام، فالتوكيد عمل كلاميّ يأتيه المتكلم، فيجعل عمل الخصم الكلامي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له ذلك المتكلم (ينظر: الحجاج في القرآن: 285)، وهذا ما نلمسه من نصّ الآية الكريمة التي ارتجّ الهدهد لها، فلم يستطع أن يصابول أو يطاول، وقد تملكه الخوف من وعيد سليمان (عليه السلام) لها، بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَكَثْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَمِينٍ﴾ (النمل: 22)، فلم يقترب قربه المعهود من النبيّ خشية القتل .

ونجد عنصر الحجاج بارزاً في سورة (يس) لدى حبيب النجار الذي مثل أمام الملك، حين سأله عن إتباع الرسل، فأجابه بقوله: (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)، وقد نسب السؤال إلى نفسه؛ لأنّه في منزل أقلّ من منزلة الملك، فلم يقل: (وما لكم لا

تعبدون الذي فطركم، أي خلقتي، وإليه ترجعون)، وقد تنبّه الزمخشريّ إلى هذا العدول وعدّه من باب الملاحظة، يقول: "ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم؛ ليتلطف بهم ويداريمهم، ولأنه أدخل في إمحاض النصح، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، ولقد وضع قوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكان قوله: وما لكم لا تعبّدون الذي فطركم . ألا ترى إلى قوله: ﴿وَاللَّيْلُ تَرْجَعُونَ﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرنى وإليه أرجع، وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فاسمعون﴾ يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني، فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه" (الكشاف: 319/3) .

في حين كان الحجاج في سورة غافر يقوم على التأكيد في الدعوة إلى الله تعالى، وهذا ما نلاحظه في تكرار النداء في آيات متقدمة، منها: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 38)، و﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر: 39)، إذ إنّ الوظيفة الحجاجية للتكرار هي تأكيد معنى الجملة، وتحقيق ذلك المعنى، وتقريبه، على نحو تبدو معه هذه الجملة أو الجمل المؤكدة مما لا يمكن الاستغناء عنه لحصول الكمال في معنى الجملة المؤكدة.

فضلاً عن الاستعمال المكرر هو النداء فالوظيفة التي يحملها هذا الأسلوب هي وظيفة إلهامية؛ لأنه يخص المرسل (ينظر: لسانيات النص، النظرية والتطبيق، ليندة قياس: 222)، ويعدّ وسيلة بارزة من وسائل الخطاب، وقد خرج من الوظيفة الموضوعية له "وهو طلب الإقبال" (شرح المختصر، للتفتازاني: 213/1)، إلى تعبير فني انفعالي يبيّن دلالاته بوسيلة الإيحاء؛ ذلك أنه يوحي بالأسى والانفعال النفسي تجاه قومه؛ مما يعدّ كشفًا دلاليًا لما تنطوي عليه حالة القوم وابتعادهم عن الحق، جاء في تفسير البيضاوي: "كرّر نداءهم إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة، واهتماماً بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه، وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله؛ ولذلك لم يعطف على الأول، فإن ما بعده أيضًا تفسير لما أجمل فيه تصريحًا أو تعريضًا أو على الأول" (تفسير البيضاوي: 49/5) .

لم يسبق التركيب في سورتي (النمل) و(يس) ب(أن) الناصبة؛ لأنّ الموقف لا يستدعي وجودها، فسلیمان (عليه السلام) في موقف آني، وكذلك حبيب النجار في مقام الإجابة على سؤال الملك، وخلا التركيب في سورة غافر من النفي و(أن)؛ لأنّ (حزقيل) مؤمن آل فرعون في موقف تعجّب من حالهم، فهو لا يستفهم عن عدم استجابتهم لدعوته، بل يتعجّب من إصرارهم على الكفر .
خلو سورة النمل في الآية: 20 من فعل الأمر؛ لأنّ المأمور - الهدد - غير موجود لحظة تقدّم النبيّ سليمان (عليه السلام) الطير بدلالة وجود (أم كان من الغائبين)، في حين نلاحظ وجود فعلي الأمر في سورتي (يس) و(غافر)؛ لأنّ المأمور موجود .

تركيب (ما لنا) وسياقاته

- 1- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لِهْمُ ائْبَعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنَاقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 246) .
- 2- ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة: 84) .
- 3- ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: 12) .
- 4- ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (ص: 62) .

بلحاظ الآيات الكريمات نجد ما يأتي:

أ- لم يتصدّر تركيب (ما لنا) في سورة البقرة فعل أمر من مادة الفعل المنفي الذي يلي التركيب، بل تصدرّ بجواب فعل الأمر في قوله تعالى: (ابعث لنا نبيًا نقاتل)، ومن ثمّ ظهور السؤال صريحًا من قبل النبيّ، وسنبيّن ذكر السؤال في مبحث السياقات .
أما في سورة المائدة، فقد وقع التركيب في سياق الشرط، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: 83) .
وفي سورة إبراهيم وقع التركيب في سياق لام الأمر (فليتوكل)، في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (إبراهيم: 11) .
وفي سورة (ص) لم يرد فعل الأمر كما نلاحظ في قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرًّا مَآبٍ﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَهَادِ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٍ وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا

مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبَيِّنْ الْقُرْآنُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ (ص: 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 ، 60 ، 61) .

- ب- وقع تركيب (ما لنا) في سياقات الحوار القائم على الحجة والاستدلال بين الحق والباطل.
- ج- اختلف التأليف في سورتي البقرة وإبراهيم، وكانت على هذه البنية (ما + لنا + أن + لا النافية + الفعل المضارع)، في حين خلا التأليف في سورتي المائدة وص من (أن) .
- د- تركيب (ما لنا) لم يرد إلا على لسان اليهود والنصارى والمشركين وقوم نوح (عليه السلام) .

السياقات

يعد السياق في سورة البقرة على أنه لما قدم تعالى ذكر الجهاد، عقبه بذكر القصة المشهورة في بني إسرائيل التي تضمنت ما نالهم في قعودهم عنه؛ تحذيرًا من سلوك طريقتهم فيه (ينظر: مجمع البيان: 2/).

وأما السياق في سورة المائدة، فهو في عقد موازنة بين اليهود والنصارى المعاصرين لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد أن أرسل النجاشي (أصحمة) وفدًا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانوا اثني عشر رجلاً، سبعة من القسيسين، وخمسة من الرهبان، فلما قرأ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن، بكوا وأمنوا، فنزلت هذه الآية فيهم "الزاد المسير: 310/2) .

وتناول السياق في سورة إبراهيم ما أجابت به الرسل الكفار، فإنهم قالوا لهم: (ما نحن إلا بشرٌ مثلكم)، ولسنا ملائكة - كما زعمتم -، ولكن الله منّ علينا، فاصطفانا وبعثنا أنبياء، وهو (يمنّ على من يشاء من عباده)، ولم يكن لنا أن نجيبكم ب(سلطان) أي: بحجة على صحة دعوانا إلا بأمر الله وإطلاقه لنا في ذلك (وعلى الله) يجب أن يتوكل المتوكلون المؤمنون المصدقون به وبأنبيائه، ثم أخبر أنهم قالوا أيضًا: وما لنا ألا نتوكل على الله أي ولم لا نتوكل على الله، وقد هدانا إلى سبل الإيمان، ودلنا على معرفته، ووفقنا لتوجيه العبادة إليه، ولا نشرك به شيئاً، وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب (ينظر: التبيان: 280/6) .

وأما السياق في سورة (ص)، فقد ورد بعد وعيد الله تعالى للكافرين الداخلين في جهنم، إذ إنهم ينالون أصناف العذاب . والقائلون في هذه الآية هم الطاغون من قريش، ومنهم أبو جهل، وأمّية بن خلف، والرجال هم عمار بن ياسر، وصهيب وسلمان وخبّاب وبلال وأضرابهم (ينظر: روح المعاني: 218/23) .

من خلال سياقات السور نلاحظ أنّ المعاني التي دلّ عليها هذا التركيب هي الحثّ، كما في سورة البقرة وإبراهيم والمائدة، والإنكار في سورة (ص) .

ففي سورة البقرة كان هنالك ما يدعو إلى القتال، وهو الخروج من الديار، وكانوا - القوم من بعد موسى - يحثّ بعضهم بعضًا للتظاهر من أجل القتال في سبيل الله، وقد وقع تركيب (ما لنا) في سياق الاستفهام ب(هل)، وهي أداة استفهام مختصة بطلب (التصديق)، فلا يستفهم بها إلا عن مضمون الجملة، أي: عن الإسناد الذي فيها؛ لذلك لا يكون جوابها إلا ب(نعم) أو (لا) أو (بلى) (ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 361) ، وهذا يعني جوابًا مقدّرًا، وكأنّهم، وكأنّهم قالوا: بلى، وما لنا ... ، وقد حذف الجواب؛ لبيّنوا استعدادهم من غير أن يسألهم نبيهم، وكان جوابهم باستفهام دالّ على الحثّ والترغيب في القتال المزيّف.

ويبدو أنّ الإحباط واقع في قلوبهم، وقد أحسّ بذلك النبيّ بقوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (البقرة: 242)، ونلاحظ أنّ في سؤال النبيّ إياهم تظافر أسلوبين، هما: الاستفهام والشروط، إذ إنّ الاستفهام جاء داخلًا على الفعل (عسى)، والدلالة المعجمية التي يحملها هذا الفعل هو المقاربة، إذ إنّ الجين كان متوقعًا منهم، وفيه توقّع من طالوت على أنهم لن يقاتلوا، جاء في تفسير الكشاف: "والمعنى: هل قاربتم أن لا تقاتلوا؟ يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم أن لا تقاتلوا ، بمعنى أتوقع جينكم عن القتال ، فأدخل هل مستفهمًا عما هو متوقع عنده ومظنون . وأراد بالاستفهام التقرير، وتثبيت أنّ المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه" (الكشاف: 378/1). فضلاً عن السؤال تصدّر ب(هل)، التي ترمز إلى أنّ السائل يتوقّع الجواب ب(لا)" (التطور النحوي: 109) ، ولذا نجد النبيّ ابتداءً السؤال بها، لأنّه توقّع أن يصدر النفيّ الباطن، وهم أظهروا الإجابة ب(نعم) للمماثلة .

وتصدّر الشرط ب(إن)، وهذه تقع في المعاني المشكوك فيها أو غير المتوقعة، ولكننا في قبال ذلك نجد تحقّق فرض القتال، والذي يبدو أنّ النبي راعى المخاطبين (اليهود)، الذين كانوا لا يتوقعون حصول القتال، بدلالة الإطناب في كلامهم والتسويق في الجواب، كما نجد الاستطالة في الزمن من وقوع التركيب إلى (لما) التي جاءت شرطاً يحمل زمنًا بعيدًا عن زمن طلبهم من الملك القتال في سبيل الله، إذ حمل صوت الألف ذلك الإطلاق .

وما نلاحظه في النصّ أنّهم لم يطلبوا من النبي القتال، بل طلبوا منه أي يبعث ملكًا، وهذا يدلّ على تربيّتهم في القتال لشدّته، وأنّهم طلبوا ملكًا، وهذا يدلّ على القوّة والسلطان في لفظ (الملك)؛ لأنّ من أذلهم وأخرجهم هم الجبابرة من الملوك الذين كانوا في زمانهم (ينظر: التبيان: 288/2) .

فلما بعثه الله تعالى إليهم، ورأوا أنّه لا يليق بما في أنفسهم من صفات الملك، وهو عندهم أن يكونوا ذا مالٍ فضلًا عن ذلك لم يكن من سلالة النبوّة عندهم؛ لذلك رفضوا القتال الذي كانوا يحثّون عليه؛ لذا عبّر عنهم بالملأ، وهم "أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدّموهم، الذين يرجع إلى قولهم" (لسان العرب: 159/1 ملأ) .

أما في سورة المائدة، فقد خرج تركيب (ما لنا) إلى معنى الحثّ إلى الإيمان، على الرغم من وجود الإنكار والاستبعاد؛ "لانتقاء الإيمان مع قيام مجبه، وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين" (الكشاف: 693/1)، وقد لا قى وفد النجاشي تعنيفًا من لدن قومهم، يقول الطبرسي في قوله تعالى (وما لنا لا نؤمن): "لأيّ عذر لا نؤمن بالله؟ وهذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفًا لهم؛ لم آمنتم؟ عن الزجاج، وقيل: إنهم قدروا في أنفسهم كأنّ سائلًا سألهم عنه، فأجابوا بذلك" (مجمع البيان: 402/3)، وقال أبو حيّان الأندلسي: "إنهم أنكروا على أنفسهم؛ لأنهم لا يوحدون الله، ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين" (البحر المحيط: 9/4) .

أما في سورة إبراهيم، فقد دلّ تركيب (ما لنا) على حثّ الرسل على التوكّل على الله تعالى، جاء في الكشاف: "ومعناه: وأي عذر لنا في ألا نتوكّل على الله" (370/2)، وفي مجمع البيان: "معناه: وأي شيء لنا، إذا لم نتوكّل على الله، ولم نفوض أمرنا إليه" (63/6)، وثمّة ما يؤكّد معنى الحثّ وجود قرائن لغويّة أعقبت تركيب (ما لنا)، هي التوكيد بالقسم المقدّر وبينون التوكيد الثقيلة الداخلة على الفعل المضارع، في قوله: (لنصبرنّ)، فضلًا عن وجود الأمر (فليتوكّل) المسند إلى لفظ من لفظ الفعل نفسه، وهو (المتوكّلون)، وفيه "معنى الثبوت على التوكّل"، وفيه أيضًا تحدّي من الرسل للمشركين في المضيّ إلى طريق الحقّ والوصول إلى جادة الصواب.

في حين اختلف المعنى الذي يؤدّيه التركيب (ما لنا) في سورة (ص)، فالقول لم يصدر في العالم الدنيويّ، كما لاحظنا في سور البقرة والمائدة وإبراهيم، وإنّما صدر في جهنّم بعد الحساب؛ فلم نجد الحثّ والترغيب موجودًا في هذا السياق؛ لأنّ القائلين يأسون من رحمة الله؛ لذلك دلّ التركيب على الإنكار، أي: إنكار الرؤية (ينظر: تفسير ابن كثير: 46/4) .

ونلاحظ أنّ النصّ الكريم أرفد بعد الاستفهام ب(ما لنا لا نرى رجالاً...)، باستفهام آخر وهو ﴿أَتَخَذْنَاكُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (ص: 63)، ليعرّز دلالة التوبيخ لأنفسهم في قولهم لمن ذهب إلى أنّها للتوبيخ، على الرغم من اختلاف اللغويين في دلالة الهمزة، فقد ذهب الفراء إلى أنّها دالة على التوبيخ والتعجب، وذهب أبو حاتم إلى أنّ الاستفهام بالهمزة وما دخلت عليه نعت للرجال (ينظر: معاني القرآن للفراء: 133/3)، أي متخذين إياهم سحريًّا، فما ذهب إليه أبو حاتم يُخلي الجملة من المعاني البلاغية التي تقتضي أحوال المتخاطبين من حيث المقام والتفاعل والمقاصد المرجوة .

إنّ تركيب (ما لنا) في سورة البقرة سيق بفعل الأمر (ابعث)، ووقع الفعل (نقاتل) جوابًا لشرط مقدّر، ومعناه: إن تبعث لنا ملكًا نقاتل، فكان غاية اليهود الأولى بعث الملك؛ لذا لم يذكروا القتال بصيغته الأمرية، فلم يقولوا: فلنقاتل أو قاتلوا؛ لأن القتال عندهم متعلّق بالبعث؛ ممّا يدلّ على استبطائهم ومماطلتهم .

وأما في سورة المائدة، فلم يسبق تركيب (ما لنا) فعل أمر، وإنّما سيق هذا التركيب جوابًا لتعنيف قوم النجاشيّ للوفد الذي أرسله النجاشيّ للنبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونلاحظ أنّ الفعل المضارع (نؤمن) سبق بفعل ماضٍ من لفظ الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: 83)، وهذا يشعر بتوبيخ صدر من لدن القوم؛ بسبب إيمانهم بالنبيّ، وكأنّ القوم سألو الوفاء بعد الإيمان، ولم آمنتم سماعكم قولاً فاضت منه أعينكم؟ فكان جوابهم تعنيفًا للسؤال المقدّر . وهذا ما نذهب إليه أنّ هذا التركيب لا بد أنّ يسبق بأسلوب طلبيّ إذا سيق في العالم الدنيويّ .

وسبق التركيب في سورة إبراهيم (لام) الأمر في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وهذه "، تقع على الغائب، فيقال: ليقيم، ليقوما، ليقيموا، كما تقع على المخاطب، فيقال: لتقم، ولتقوما، ... وهذا يشير إلى أنّ لام الأمر أوسع شموليةً لمعنى الأمر من فعل الأمر، وذلك لجواز أن يكون الأمر للمخاطب والغائب على السواء" (دقائق النحو في القرآن الكريم: د. كاظم إبراهيم كاظم: 303)، ودلالة الأمر في النصّ الكريم عامّ مطلق لجميع المؤمنين ولا يخصّ مخاطباً بعينه، لذا كان دخول الرسل في هذا الخطاب بسبب العموم الذي اقتضاه، ومن ثمّ صدور الحثّ على هذا التوكّل، ونجد الفعل الواقع بعد (لام) هو من لفظ الفعل الواقع بعد تركيب (ما لنا)، وهذا التكرار باللفظ يدلّ على التأكيد في التوكّل على الله تعالى كما في (فليتوكّل المؤمنون، وما لنا ألا نتوكّل، وعلى الله فليتوكّل المتوكّلون) .

في حين يخلو تركيب (ما لنا) في سورة (ص) من أسلوبٍ طلبيّ يتقدّم التركيب؛ لأنّ المشركين رأوا العذاب، فأرادوا رجلاً يعرفونه في ذلك الموقف من أتباع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن أنّ المقام أخرويّ فلا يوجد ما يوجب الأمر والتكليف.

نلاحظ وجود (أن) المصدرية في سورتي البقرة وإبراهيم، وخواها في سورتي المائدة وص. فقد ذكرنا أنّ اليهود في سورة البقرة كانوا في حالة مماثلة وتسويّف في قضية القتال؛ لذا جاء في النصّ الكريم على ألسنتهم مقترناً فيه الفعل ب(أن) التي تدلّ زمنياً على الاستقبال، وهم يميلون إلى الراحة لا إلى القتال. وأما خلوّ فعل الإيمان من (أن)، لأنّ الإيمان حصل عند الوفاء، ما إن استمعوا إلى القرآن، فكان إيمانهم سريعاً لا يحتمل المهلة من الزمن .

وفي سورة إبراهيم خلا فعل التوكّل من (أن)؛ لأن التوكّل يرجع إلى طرفين، الطرف الأول عاجز ومعتمد على الطرف الثاني، جاء في لسان العرب: "والتوكّل إظهار العجز والاعتماد على غيرك" (736/11 (وكل))، ممّا يدلّ على أنّ التوكّل لا يحصل إلا بالتسليم الكامل لله تعالى، والإيمان المحض به، والتسليم والإيمان لا يأتيان بدفعة واحدة، وإنّما يأتيان بنحوٍ متدرّج لنيل مراتب الكمال الإنسانيّ؛ لذلك ناسب دخول (أن) على فعل التوكّل .

تركيب (ما لك) وسياقاته

1- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (يوسف: 11) .

2- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: 32) .

يلحظ في تركيب (ما لك) ما يأتي:

أ- لم يسبق التركيب في سورة يوسف فعل أمر، إنّما سبق بعد ذكر الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: 12) .

في حين نلاحظ في سورة الحجر أن التركيب وقع في سياق الأمر في قوله تعالى: ﴿فَفَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: 29) ، ولم يذكر فعل السجود، بل ذُكر فعل الكينونة .

ب- التأليف في سورة يوسف جاء على هذا النحو:

(يا النداء + المنادى + ما + لك + لا + الفعل المضارع) .

في حين كان التأليف في سورة الحجر:

(يا النداء + المنادى + ما + لك + أن + لا + الفعل المضارع) .

ج- وقع (ما لك) مقولاً للقول في كلتا الجملتين .

تتاول السياق في سورة يوسف الجدل الذي حدث بين إخوة يوسف وأبيهم يعقوب (عليه السلام)، وهم يستعطفونه؛ لغرض خروج النبيّ يوسف (عليه السلام) معهم، والغاية في لك الكيد لا الرتع واللعب، يقول الرازي في لك: "واعلم أنّهم لما أحكموا العزم، ذكروا هذا الكلام، وأظهروا عند أبيهم أنّهم في غاية المحبة ليوسف، وفي غاية الشفقة عليه، وكانت عادتهم أن يعييبوا عنه مدة إلى الرعي، فسألوه أن يرسله معهم، وقد كان (عليه السلام) يحب تطييب قلب يوسف فاغترّ بقولهم وأرسله معهم" (التفسير الكبير: 18/1) .

ويعرض السياق في سورة الحجر لمسألة سجود الملائكة لأدم، ونقم إبليس على ذلك السجود حين أمره الله تعالى بذلك .

يلحظ تصدّر التركيب في سورة يوسف والحجر بالنداء، وقد أضفى النداء أثر اللطف وقَلَّ من دلالة الإنكار، ففي سورة يوسف جاء النداء مضافاً، ودلالة الإضافة هي "المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن" (الكشاف: 510/2)، فكما بينا في السياق المقاميّ أنهم أظهروا الأدب الجمّ والخلق الدمث .

ولم يكن الأمر كذلك في خطاب إبليس، فقد دلت (يا) النداء على التنبية، ولم يكن المنادى مضافاً، بل جاء المنادى صفة، وليس اسماً صريحاً؛ زيادة في التأنيب والتحقيق، فعن الرضا (عليه السلام) أنه ذكر "أنّ اسم إبليس الحارث، وإنّما قول الله عزّ وجلّ: (يا إبليس) (يا عاصي)، سمّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله عزّ وجلّ" (معاني الأخبار، للشيخ الصدوق: 138) .

دلّ التركيب في سورة يوسف على الإنكار؛ لما أظهره إخوة يوسف (عليه السلام) من تودّد وحبّ لأبيهم، و"لعل يعقوب عليه السلام كان لا يأذن ليوسف عليه السلام بالخروج مع إخوته للرعي أو للسبق؛ خوفاً عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم أو من غيرهم، ولم يكن يصرح لهم بأنّه لا يأمنهم عليه، ولكن حاله في منعه من الخروج كحال من لا يأمنهم عليه، فنزلوه منزلة من لا يأمنهم" (التحرير والتنوير: 128/13)؛ لذلك أتوا بالاستقهام المستعمل في الإنكار على نفي الائتمان .

ودلّ التركيب (ما لك) الموجه إلى إبليس في سورة الحجر على التوبيخ والتأنيب، يقول ابن عاشور: "جملة ما لك ألا تكون مع الساجدين استقهام توبيخ . ومعناه أي شيء ثبت لك، أي متمكناً منك؛ لأن اللام تفيد الملك" (التحرير والتنوير: 46/14) .

ونلاحظ أنّ جواب إبليس كان مطابقاً لفعله في إباته عن السجود، في قوله: (لم أكن لأسجد)، وفيه جُحود، وهو أشدّ في النفي من (لا أسجد) (ينظر التحرير والتنوير: 46/14)

ومما يثير الانتباه أن التوبيخ جاء للكينونة في (ما لك ألا تكون مع الساجدين)، وفي آيات أخر أنه جاء للمانع من السجود كما في قوله تعالى:

1- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: 12)

2- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص: 75) .

فالآية في سورة الحجر لم يسأله عن المانع، بل قرّعه لكونه غير ساجد، أمّا في سورتي الأعراف وص، لم يكن توبيخه من أجل كونه غير ساجد، بل توبيخه للعلّة التي امتنع فيها عن السجود، ففي الكينونة لم يقدم إبليس العلّة المانعة التي تبين أفضليته على آدم (عليه السلام)، فقد قدّم سرداً عن خلق آدم، ولم يبين أنّ المنع هو خلقته من نار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَ أُنكِرُ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: 32) .

وأما في الآيتين اللتين ورد فيهما السؤال عن المانع، فقد بيّن فيها إبليس خلقته، فقد جاء في الكشاف: "أنا خيرٌ منه" جواباً لما منعك، وإنّما الجواب أن يقول: منعني كذا؟ قلت: قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم، وبعلة فضله عليه، وهو أنّ أصله من نار، وأصل آدم من طين، فعمل منه الجواب وزيادة عليه، وهي إنكار للأمر واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله" (الكشاف: 68/2)

ونجد أيضاً فرقاً بين الآيتين في سورتي الأعراف وص، ففي الأولى نجد وجود (لا) والثانية تخلو منها .

ففي وجود (لا) نلاحظ قرينة (إذ أمرتك)، فهو أمر له خاصّ به دون الملائكة، وفي (لا) تأكيد على تنفيذ الأمر على وجه القطع، لأن أمر الله له بالسجود أوجب عليه إيجاباً، وأحتمه عليه حتماً لا بدّ منه .

ف(لا) هنا أفادت التأكيد جاء في الكشاف: "ألاّ تسجد" (لا) صلة بدليل قوله: (لما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)، ومثلها: (لئلاّ يعلم أهل الكتاب) (الحديد: 29)، بمعنى ليعلم: فإن قلت: ما فائدة زيادتها؟ قلت: توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل: ليتحقق علم أهل الكتاب . وما منعك أن تحقق السجود وتلزّمه نفسك؟" (الكشاف: 68/2) .

وأما في سورة (ص)، فكان الأمر بالسجود عامّاً، وهو داخلٌ في ذلك العموم، فلم يلزم وجود مؤكّدات كما في الأمر الخاص .

ومما نلاحظه في سورة يوسف أن التركيب خلا من (أن)؛ لأنهم خططوا مسبقاً للكيد بيوسف (عليه السلام) كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿ (يوسف: 8 ، 9 ، 10 ، 11) .

ومن ثم يأتي الحثّ السريع منهم لكي يؤدّوا ما خطّطوا له، ومن هنا لم يناسب دخول (أن) على الفعل؛ لأنّ فقدان الوقت ليس بصالحهم، وربّما تحدثت مستجدات قد تحرمهم ممّا خطّطوا له .

أما في سورة الحجر، فقد دخلت (أن) على الفعل (يكون)، وحتى على فعل السجود في سورتي الأعراف ووص، وهذا يدلّ على أنّ ثمة زمناً كان بين سجود الملائكة، وإباء إبليس عن السجود، ويدلّ هذا الزمن على رحمة الله تعالى ليتسنّى لإبليس تغيير موقفه من امتناعه عن السجود .

وربّما يكون هناك خطابان في السجود:

الأول: أنّه أمر بالسجود كل الملائكة، وكان إبليس من المأمورين من باب التغليب .

الثاني: أنه حينما أمر بالسجود بنحو عامّ، جعل إبليس من نفسه أنه غير داخل في هذا الخطاب العام؛ لأنّه ليس من جنس الملائكة، وثم خصّصه بالأمر منفرداً به؛ بدلالة (إذ أمرتكم)، وهذا الأمر جاء بعد نكوص إبليس عن السجود بمدة الله أعلم بها .

تركيب (ما لها)

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا أَنَّ رَبَّكَ أُوحِيَ لَهَا﴾ (الزلزلة: 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5) .

نلاحظ في تركيب (ما لها) ما يأتي:

1- وقوعه في سياق (إذا) .

2- جاء التركيب بعد قضايا تخرج عن القضايا المعتادة .

3- في التركيب إحالة تعود على سابق على خلاف التراكيب المشابهة له .

التحليل:

إنّ وقوع التركيب في سياق (إذا) يدلّ على التوقيت المعلوم، جاء في المقتضب: "وإنما منع (إذا) من أن يجازى بها؛ لأنّها مؤقتة، وحروف الجزاء مبهمة، ألا ترى أنك إذا قلت: (إن تأتيني آتتك)، فأنت لا تدري أيقع منه إتيان، أم لا ؟ وكذلك: من أتاني أتيتّه، إنّما معناه: إن يأتيني واحد من الناس، آته . فإن قلت: (إذا أتيتني ...)، وجب أن يكون الإتيان معلوماً، ألا ترى إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: 1)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: 1)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: 1)، إنّ هذا واقع لا محالة" (المقتضب: 55/2 - 56) .

وكذلك تختصّ بدخولها على المتيقن والكثير الوقوع (ينظر: الانتقان: 149/1)، ممّا يعني أنّ سؤال لزلزلة واقع وأنّ إخراج الأرض أثقالها واقع، وأنّ سؤال الإنسان واقع ومعلوم .

واختلف المفسرون في تحديد الأتقال، ونوجزها على هذا النحو:

أ- عن ابن عباس: موتها .

2- عن النقاش والزجاج ومنذر بن سعيد: كنوزها وموتها .

3- ومنهم من فسر الأتقال ههنا بالأسرار .

4- وقيل للإيماء إلى تبديل الأرض غير الأرض أو لأن إخراج الأرض حال بعض أجزائها (روح المعاني: 209/30) .

وبعد هذه المقدمة من لفظ الأرض سواء كان للموتى أم الكنوز أم غير ذلك، كان للسؤال محوريته في سبب هذا الإخراج، واختلف المفسرون في تحديد لفظ (الإنسان). ويمكن إيجازه على ما يأتي:

أ- المؤمن .

ب- الكافر .

ج- الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

وعلى وفق هذا الاختلاف يختلف تحديد ماهية الاستفهام، فإذا كان صادراً من مؤمن يكون فيه الاستفهام دالاً على الاستعظام.

وإذا كان صادراً من كافر يكون الاستفهام دالاً على التأنيب واللوم، جاء في التفسير الكبير: "إنما قال : (مالها) على غير

المواجهة؛ لأنّه يعاتب بهذا الكلام نفسه، كأنه يقول: يا نفس، ما للأرض تفعل ذلك، يعني: يا، نفس أنت السبب فيه، فإنّه لولا

معاصيك، لما صارت الأرض كذلك، فالكفار يقولون هذا الكلام، والمؤمنون يقولون: {الحمد لله الذي أذهَبَ عَنَّا الحزنَ} (التفسير الكبير: 59 / 32).

خاتمة البحث ونتائجه في نهاية هذا البحث،

لا بد من نتائج نعتقد بأهميتها في البحث، ولا بد لنا من أن تعرض في الفصل الأول: طبيعة الخطاب الاستفهامي، إذ بينت الدراسة اهتمام محورية هذا الأسلوب في الإنشائيات، كما كان لأسلوب الانزياح أثر مهم في الدلالة من التغيرات من البنية العميقة إلى السطحية، ونحن نعد تركيب (ما لكم) من خصائص هذا الأسلوب؛ بحسب الثبات والتغير في بعض طرق تأليفه؛ ذلك لاختلاف السياق من تركيب إلى آخر . أما في الفصل الثاني ؛ فقد كشف البحث ما يأتي:

- إن التركيب الأكثر ورودًا هو (ما لكم) ؛ لأن الخطاب القرآني موجه إلى الجميع دون استثناء؛ ثم تأتي بعدها سائر التراكيب؛ ذلك أنها تتناول جوانب ذاتية من القصص القرآني
- اختلاف البلاغيين في زيادة (أن) التي تسبق الفعل المضارع، وكان توجيهنا أن لوجودها أثرًا في توجيه الدلالة على خلاف ما ذهب إليه بعض اللغويين .لم يأت بعد تراكيب (ما لكم) وتفرعاته فعل موجب بل فعل منفي؛ لأن التوبيخ والحث والتعجب يأتي للإنكار .
- إن وجود حرف (أن) قبل الفعل المضارع بعد تركيب (ما لكم) وتفرعاته يجيء في جميع النصوص دالاً على التراخي في الزمن، كما في فعل الإنفاق للمؤمنين والسجود لإبليس، أما إذا خلى النص من (أن) كان السياق بعمومه دالاً على الحث السريع كما في فعل الإيمان، والتناصر، وفعل الأمان من لدن أخوة يوسف .
- لا بد أن يسبق التركيب أسلوب طلبي إذا كان الخطاب دنيويًا، على خلاف السياقات الأخروية التي لا يرد فيها أي أسلوب طلبي .
- لا بد أن يسبق هذا التركيب عرض الأدلة والبراهين، وكشف الزيف؛ ذلك لغاية حجاجية إقناعية استدلالية.
- إن ورود (كيف تحكمون) لا يأتي بعد تركيب (ما لكم) إلا في الأمور التي لا يدركها الإنسان أو أنه لم يعاينها على الأغلب .لم يرد تركيب (ما لنا) إلا على السنة اليهود والنصارى ومشركي قوم نوح .
- تركيب (ما لهم) يرد في مواطن العذاب في القرآن الكريم .
- يأتي تركيب (ما لي) في مشادات كلامية كما في قصة سليمان مع الهدد، وقصة حبيب النجار مع الملك، وحزقيل مع فرعون .
- في تركيب (مالي) عدول عن البنية العميقة في نسبة القصور إلى الذات، لا إلى الآخرين، على أننا لمسنا القصور يأتي من الآخر، كما في فقدان الهدد، وعبادة غير الله فيما يخص حبيب النجار ومؤمن آل فرعون .
- سبق تركيب (ما لك) أسلوب النداء في دالتين مختلفتين، الأولى تدل على اللطف كما في خطاب أبناء يعقوب لأبيهم، والآخرى على التنبيه كما في خطاب الله جريان لإبليس .
- فرقنا بين الدالتين في (ما لك ألا تكون) و (ما منعك ألا تسجد) و (ما منعك أن تسجد). (١٤- كشفنا في البحث أن ثمة خطابين في الأمر بالسجود، الأول: عام مطلق شمل الملائكة وإبليس، والآخر خاص بإبليس لامتناعه عن السجود .
- لم يأت بعد تركيب (ما لها) فعل منفي؛ لأن النسق المضمّر يشعر بالنفي كما بينا في ذلك المبحث.

المراجع

- أبو الفتح عثمان بن جني. (1955). *الخصائص*. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. بيروت: دار العلم للملايين.
- إحسان حقي. (د.ت). *تونس العربية* (ط. 3). بيروت: دار الصفاء.
- أحمد ابن أبي الصاف. (1985). *(تحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان)* تحقيق أحمد عبد السلام، ج. 5). تونس: تونس.
- أحمد الريس. (1991). *الصحافة التونسية: مائة عام من التجربة*. تونس: دار الجنوب للنشر.
- ابن الأثير. (1382هـ). *النهاية في غريب الحديث والأثر* (تحقيق طاهر أحمد الزاوي). بيروت: دار الفكر.
- ابن بابشاذ. (1977). *شرح المقدمة المحسنة*. الكويت: المطبعة العصرية.
- ابن الصائغ. (2004). *اللمحة في شرح الملحمة*. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
- ابن القواس. (1985). *شرح ألفية ابن معط*. الرياض: مكتبة الخريجي.
- ابن عصفور. (د.ت). *شرح جمل الزجاجي*. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- جني، ابن. (1993). *سر صناعة الإعراب*. دمشق: دار القلم.
- جني، ابن. (2010). *مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها*. الكويت: كلية الآداب، جامعة الكويت.
- جني، ابن. (د.ت). *الخصائص*. القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- جلال الخياط. (1975). *الشعر والزمن*. بغداد: منشورات وزارة الإعلام.
- حسن الأشلم. (2006). *الشخصية الروائية عند خليفة حسن مصطفى*. طرابلس: مجلس الثقافة العامة.
- حسين بجرادي. (1990). *بنية الشكل الروائي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- رياب هاشم حسين. (2020). *السرديات العربية الحديثة*. عمان: دار الشروق.
- سعد عبدلي. (د.ت). *دراسات لغوية معاصرة*. الجزائر: منشورات جامعة الجزائر.
- سعاد عبدلي. (د.ت). *مباحث في علم الدلالة*. الجزائر: الدار الوطنية للنشر.
- علي بن إسماعيل بن سيده. (1996). *المحكم والمحيط الأعظم في اللغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبد القاهر الجرجاني. (1982). *دلائل الإعجاز*. القاهرة: دار المعارف.
- عبد القاهر الجرجاني. (1983). *أسرار البلاغة*. القاهرة: دار المعارف.
- لسان العرب، ابن منظور. (1990). *(لسان العرب ج1-20)*. بيروت: دار صادر.

References

- Abu al-Fath, 'Uthman ibn Jinni. (1955). *Al-Khassā'is*. Cairo: Printing Press of Dar al-Kutub al-Misriyya.
- Isma'il ibn Hammād al-Jawhari. (1987). *Al-Sihāh: Tāj al-Lughah wa-Ṣihāh al-'Arabiyyah*. Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malāyīn.
- Haqqi, Ihsan. (n.d.). *Tunis al-'Arabiyyah* (3rd ed.). Beirut: Dar al-Safā'.
- Ahmad ibn Abi al-Dhāf. (1985). *Ithāf Ahl al-Zamān fī Akhbār Mulūk Tunis wa-'Ahd al-Amān* (ed. Ahmad Abd al-Salām, Vol. 5). Tunis: Tunis.
- Al-Ra'is, Ahmad. (1991). *Al-Ṣihāfah al-Tūnisīyyah: Mi'ah 'Ām min al-Tajrubah*. Tunis: Dar al-Janūb lil-Nashr.
- Ibn al-Athir. (1382 AH). *Al-Nihāyah fī Gharīb al-Ḥadīth wa-al-Athar* (ed. Tahir Ahmad al-Zawi). Beirut: Dar al-Fikr.
- Ibn Babshādh. (1977). *Sharḥ al-Muqaddimah al-Muhsibah*. Kuwait: Al-Matba'ah al-'Aṣriyyah.
- Ibn al-Ṣā'igh. (2004). *Al-Lamḥah fī Sharḥ al-Mulḥah*. Al-Madinah al-Munawwarah: Research Deanship of the Islamic University.

- Ibn al-Qawwās. (1985). *Sharḥ Alfīyyat Ibn Maʿt*. Riyadh: Maktabat al-Khurayji.
- Ibn ʿAsfūr. (n.d.). *Sharḥ Jumal al-Zajjājī*. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyya.
- Ibn Jinni. (1993). *Sirr Šināʿat al-Iʿrāb*. Damascus: Dar al-Qalam.
- Ibn Jinni. (2010). *Mukhtār Tadhkirat Abi ʿAli al-Fārisi wa-Tahdhībuhā*. Kuwait: Faculty of Arts, Kuwait University.
- Ibn Jinni. (n.d.). *Al-Khassāʿis*. Cairo: General Egyptian Book Organization.
- Al-Khayyat, Jalal. (1975). *Al-Shiʿr wa-al-Zamān*. Baghdad: Publications of the Ministry of Information.
- Al-Ashlam, Hasan. (2006). *Al-Shakhṣiyyah al-Riwāʿiyyah ʿinda Khalīfah Hasan Mustafā*. Tripoli: General Authority for Culture.
- Bujradi, Husayn. (1990). *Binyat al-Shakl al-Riwāʿi*. Beirut: Arab Cultural Center.
- Husayn, Rabab Hashim. (2020). *Al-Sardiyyāt al-ʿArabiyyah al-Ḥadīthah*. Amman: Dar al-Shurūq.
- ʿAbdali, Saʿd. (n.d.). *Dirāsāt Lughawīyyah Muʿāširah*. Algiers: Publications of the University of Algiers.
- ʿAbdali, Suaad. (n.d.). *Mabāḥith fī ʿIlm al-Dalālah*. Algiers: National Publishing House.
- Ibn Sida, ʿAli ibn Ismaʿīl. (1996). *Al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-Aʿzam fī al-Lughah*. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Al-Jurjani, ʿAbd al-Qahir. (1982). *Dalāʿil al-Iʿjāz*. Cairo: Dar al-Maʿārif.
- Al-Jurjani, ʿAbd al-Qahir. (1983). *Asrār al-Balāghah*. Cairo: Dar al-Maʿārif.
- Ibn Manzur. (1990). *Lisān al-ʿArab* (Vols. 1–20). Beirut: Dar Ṣādir.